الحكم المباشر في العراق:

بعد أَنْ احتل البريطانيون العراق برزت يومذاك فكرتان حول طريقة إدارة البلاد دعت الأولى إِلى وضع العراق تحت إدارة حكومة الهند وإسكان مجموعة من الهنود والمحاربين فيه لزارعة أرضه وجعله مستعمرة هندية. ودعت الثانية إِلى منح العراق شكلًا من أشكال الاستقلال عن طريق إقامة حكم أهلي. وفي بداية الأمر طغت الفكرة الأولى إذ أصبح العراق تحت الحكم البريطاني المباشر وأخذوا يحكمونه حكمًا عسكريًا من جهة ويضعون الخطط الكفيلة لتثبت أقدامهم في العراق من جهة أخرى إذ كانت السلطة المطلقة في أيدي القيادة العسكرية البريطانية والإدارة المدنية التي كانت خاضعة إِلى حكومة الهند البريطانية ثم ان الكولونيل ويلسون (Wilson) الذي حلَّ عام ١٩١٧ محل برسي كوكس (الموظف القديم في الخدمة البريطانية) قد ترأس الإدارة البريطانية كان يحمل أفكارًا وآراءً استعمارية ترمي إِلى جعل العراق تابعًا لحكومة الهند البريطانية. ودرة من درر التاج البريطاني بصرف النظر عن الوعود والتصريحات التي صدرت من المسؤولين والقيادات البريطانية.

---

(١٢٤) جرجيس فتح الله، يقظة الكُرد...، ص١٢٧.

(١٢٥) هنري فوستر، تكوين العراق الحديث، ترجمة: عبدالمسيح جويدة، ط٢، مطبعة السريان، بغداد، ١٩٤٦، ص٨٣؛

W.N. Hedlicott & other, op.cit., p.694.

سعت السلطات البريطانية المحتلة إلى إدارة العراق على وفق عدد من الأسس كان من بينها:

١. العمل على تأمين حاجات الاحتلال في العراق، وذلك بالاستيلاء على الممتلكات والأراضي، فضلًا عن تشغيل العراقيين وبالإكراه، لخدمة المجهود الحربي البريطاني.

٢. السعي لجعل الجزء الجنوبي من العراق تابعًا لحكومة الهند الشرقية البريطانية، تماشيًا مع السياسة الاستعمارية وأهدافها في المناطق الإستراتيجية والمهمة.

٣. محاولة التقرب من العشائر العراقيّة، وإقامة العلاقات مع بعض الرؤساء المتعاونين، وزيادة نفوذهم، بمدهم بالأموال ومنحهم الامتيازات والأراضي، لضمان ولائهم للسلطات المحتلة.

٤. العمل لإيجاد نظام إداري يسيطر فيه الحُكام والسياسيون ومعاونوهم البريطانيين مع مشاركة بعض العراقيين ممن يحظون برضا البريطانيين في الوظائف الثانوية.

٥. وضع نظام قضائي يهدف إلى استبدال القوانين العثمانية بقوانين هندية في الشؤون المدنية، والتجارية، والعقابية، وفي المسائل المادية، فضلًا عن تشريع نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية.

٦. العمل على وضع نظام مالي يساعد على توفير الأموال اللازمة لمتطلبات الجيش البريطاني في العراق[١٢٦].

---

(١٢٦) إبراهيم خليل أحمد وجعفر عبّاس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٩، ص١٥.

كان الحاكم المدني العام وكالةً يختار الموظفون الإداريون تحت اسم حكام سياسيون يعاونهم حسب الحاجة عدد من المعاونين وكان معظم أولئك السياسيين ضباط جيش لم يألفوا الإدارة المدنية التي تختلف أساليبها بعض الشيء عن القيادة العسكرية وأعيد تنسيق نظام الإدارة والقضاء على الطراز الهندي وأخذت قوات الاحتلال تعمل على التقرب من زعماء العشائر وإرضائهم عن طريق الاتفاق معهم وجعلهم مسؤولين أمام السلطات البريطانية مباشرة عن أفراد قبائلهم، وهكذا بدأ الشعب العراقي يضيق بنظام الإدارة المباشر خاصة وان وعود بريطانيا كانت محاولة لاجتياز مرحلة تاريخية من سياستها الاستعمارية.

استفتاء ويلسون (١٩١٨-١٩١٩):

في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٨ وصلت إلى بغداد الأوامر التي قضت بإجراء استفتاء عام يتمحور حول النقاط الآتية:

١. هل يفضلون دولة عربية واحدة تقوم بإرشادها بريطانيا تمتد من حدود الموصل إلى الخليج العربي.
٢. وفي هذه الحالة هل يرون ان الدولة الجديدة يجب ان يكون على رأسها عربي.
٣. إذا كان الأمر كذلك فمن الذين سيرشحونه[١٢٧].

اصدر وكيل الحاكم المدني العام أوامره مصرًا على ان تكون النتيجة مطابقة لمقترحاته آملًا بدحض آراء مدرسة القاهرة البريطانية وحصر الاستفتاء في مناطق العشائر والمدن الصغيرة الموالية للسياسة البريطانية. إلا ان المعارضة انتصرت في مدن بغداد والنجف والكاظمية وكربلاء، أما في

(١٢٧) أمين سعيد، الثورة العراقيّة..، ص ٢٤.

المدن الأخرى فقد جرى الاستفتاء عمومًا على وفق ما أراده ويلسون، الذي كان يرى أَنْ يحكم العراق حكمًا مباشرًا، وَأَنْ يحقق مبتغاه مع الذين يتعاونون مع البريطانيين من العراقيين، ولاسِيَّمَا بعض الشيوخ والوجهاء، لغرض المطالبة بالحكم البريطاني المباشر، وترويج فكرة المطالبة بأنْ يكون كوكس حاكمًا على العراق. فرح ويلسون بنتائج الاستفتاء وظن انها ستدعم موقفه في لندن وقرر ان يرسل المس بيل[١٢٨] إلى لندن لكي تشرح للمسؤولين فيها وضع العراق ونتائج الاستفتاء بالتفصيل، وتقرر ان تغادر المس بيل إلى لندن في ٨ شباط ١٩١٩، إلَّا أَنَّ ذلك لم يجعل الحركة الوطنية مكتوفة الايدي وعلى الرغم من كل التدابير التي اتخذت من قبل السلطات البريطانية لاجل ان لا يسجل شيء من الاراء غير المرضية لوكيل الحاكم المدني العام فإن الوطنيين من بعض رجال الدين والوجهاء تمكنوا من اسماع صوتهم مطالبين بالاستقلال تحت ظل حكومة عربية مقيدة بمجلس تشريعي، وأولت جمعية العهد العراقيّ التي تأسست سنة ١٩١٩ التخلص من الاحتلال أهمية كبيرة، وراحت تعمل لتحقيق:

١. استقلال العراق استقلالًا تامًا، وداخل حدوده الطبيعية وفي ضمن الوحدة العربيّة.
٢. طلب المساعدة الفنية والاقتصادية من بريطانيا مقابل ثمن، وعلى أَنْ لا تمس استقلال العراق.
٣. إنهاض الشعب العراقيّ ليباري الشعوب الغربية.
٤. العمل لخير الأمة العربيّة وتطورها.

---

(١٢٨) للمزيد عن المس بيل ينظر: محمد يوسف إبراهيم القريشي، المس بيل وأثرها في السياسة العراقية، مكتبة اليقظة العربيّة، بغداد، ٢٠٠٣.